

# وجع في وجدان العقل الجمعي



د. عزت عبدالعظيم الطويل  
أستاذ علم النفس  
بكلية الآداب بجامعة بنها

**نقصد بالعقل الجمعي collective mind وجود ثنائية في المشاعر نحو موضوع واحد كالحب والكره والقبول والرفض والإظهار والإنكار Denial، وهذه المشاعر المتناقضة التي لا تفسير لها سوى افتراض وجود عقل جمعي ينقل إلينا عبر الأجيال، ما حدث في الماضي البعيد للجنس البشري .**

بالأباطيل والتراوات، وتعشق الأساطير والحكايات، كما تتلذذ بتصديق الإشاعات وتهوى الدجل الديني والخزعبلات... نعم.. نحن شعب نجب القيل والقال وكثرة السؤال، نستمرئ الكسل، ونهتم بالتفاهات في زمن الانتصارات كما نميل إلى نحو جلد الذات Self-Punishment في زمن الانكسارات.

ومنذ زمن بعيد، وأغلب أفراد شعبنا محاصر بين فكى الفساد الضارب بجذوره في كل مناحي الحياة والتدين الشكلي بكل طبقات الشعب وأفراده. ولما كان المنهج العلمي غائبا، والفكر الحر المستنير ضاوبا، فقد ساهمت الخرافة والتفكير السحري في تشكيل العقل العربي ووجدانه. ومن الضغوط النفسية والهموم الاجتماعية التي أخذت بتلابيب الإنسان المصري على وجه الخصوص، الاضطرابات النفسية المعقدة مثل القلق والتوتر والاكتئاب والسواس القهري والأمراض السيكوسوماتية (النفسجسمية) بالإضافة إلى الهموم الاجتماعية التي تنحصر في الأزمات الاقتصادية الطاحنة والبطالة والإدمان والاعتصاب الجنسي والزواج العرفي والعنوسة وعقوق الأبناء وانعدام الشفافية وتزايد الفساد والمفسدين، والبلطجة والنفاق والمنافقين والبيروقراطية،

وهناك فرق بين العقل الجمعي وعقل الجماعة Group Mind الذي نعني به عقل افتراضي يفسر بمقتضاه سلوك الجماعة الذي لا يمكن تفسيره على أساس سلوك الفرد . هذا، ويمكن القول بأن المشاعر والانفعالات في الجماعة، تنتشر بسرعة انتشار النار في الهشيم، وهو ما نطلق عليه عدوى الجماعة Group Contagion.

ومن الناس من لا يصدق الواقع ولا يعترف بالحقائق، وليس بغريب أو عجيب أن ترى شذمة من أفراد مجتمعنا المصري لم تصدق أو تقتنع بما يقدمه أحد المواطنين الشرفاء من بطولات بارزة في مجالات أمنية أو اقتصادية، فيأتي أحدهم أو بعضهم ويهيل التراب على هذه البطولات، ويحول الصدق إلى إنكار- كحيلة نفسية دفاعية - لماذا؟ .. لأن اضطراب الوعي هو السائد في معظم المجتمعات الإنسانية التي تنفرد بدورها على مستوي العالم بعقل جمعي، تتخلله بعض الضلالات الجماعية والمدركات الميتاسيكولوجية Metapsychological Perceptives، ومن ثم يمكن القول إن معظم الناس يريدون أن يصدقوا أو على الأقل لديهم رغبة في التصديق الجمعي. إن كثرة كثيرة من أفراد مجتمعنا تستمتع بالخرافات وتنتشي

- 1- ارتفاع معدل انتشار الجرائم.
- 2- ومن ثم كان رد الفعل لمثل هذه الاضطرابات والهموم النفسية والاجتماعية السابقة في هذا الصدد، جملة خصائص وسمات متعددة نوردتها في النقاط التالية:
- 1- شعور الفرد بالإحباط Frustration معظم الوقت.
- 2- عدم تقبل الآخر والحرص الشديد من الزملاء في العمل والشارع.
- 3- السلوك العشوائي الناتج عن الإهمال والنسيان والتسيب.
- 4- انتشار العنف اللفظي والبدني في المنزل والعمل والمدرسة.
- 5- المبالغة والتهويل في سلبيات وقائع المجتمع.
- 6- التقليل والتهوين واللمز من شأن الشخصيات العامة.
- 7- كراهية السلطة و التنفيس Catharsis عن ذلك بالنكات التعبيرية.
- 8- زيادة النزعة الدينية والصحة الإيمانية.
- 9- التفكير الشديد في كيفية القضاء على الإرهاب من جذوره.
- 10- الصمت المدوي نحو الأحداث السياسية.
- 11- الاستخفاف بالقوانين والتمرد على المسؤولين التنفيذيين طبقا للقول القائل: «من أمن العقاب أساء الأدب» وحمادي القول، نقولها بأمانة علمية «قولا واحدا»، طالما أن الوجدان الشعبي «معتل»، فإن العقل الجمعي «مختل».

